أثر القرآن الكريم
في نهضة العلوم

آلات الحواس أنموذجا

اعداد

م.م. محمد شهاب أحمد
د. أحمد محمد جاسم العاني

المقدمة:

الحمـــد لله القائـــل ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾[١] والصـلاة والسـلام علـى مـن قيـل لـه ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [٢] صـلى الله وسـلم وبارك على نبي الهدى ومصباح الدجى سيدنا محمد ﷺ الذي أنار الله به السبل، وألف بين مناهجها، حتى صارت سبيلا واحدا يدعو إلى الله على بصيرة هو و من اتبعه .

أما بعد:

فكل كتاب تنضب الأفكار منه، وينتهي عطاؤه إلا القرآن الكريم، فإنه كلما قرأته ألفيت نفسك غير التي كانت بالأمس تقرأ، فالقرآن هو هو بالفاظه وتراكيبه لكن معانيه تتجدد مع الوقائع حتى كأنها الآن انزلت، ومن إعجاز القرآن أن يظل مشغلة الدارسين والعلماء جيلاً بعد جيل، ثم يبقى أبداً رحب المدى سخيَّ المورد كلما حسب جيل أنه بلغ منه الغاية امتد الأفق بعيداً وراء كل مطمح، عالياً يفوق طاقة الدارسين[٣] .

والقرآن كنز يستفتحه كل عصر بأدواته ليأخذ منه ما تسنى له من جواهره ودرره، وهو كريم كلما استثير أعطى، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "من أراد العلم فليثور القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين"[٤] .

لاجل هذا اتقدم ببحثي الموسوم(أثر القران الكريم في نهضة العلوم آلات الحواس أنموذجاً) وقد قسمته على ثلاثة مطالب تناولت في الأول منه: الإعجاز العلمي في

---

(١) سورة ص: ٢٩

(٢) سورة القيامة ١٩.

(٣) من كتاب الإعجاز البياني للقرآن – عائشة عبد الرحمن . بنت الشاطئ صـ١٧ .

(٤) رواه ابن أبى شيبة في مصنفه ١٠/ ٤٨٥ نقلا عن كتاب معرفة شأن القرآن إعداد محمد أبو البشر رفيع الدين صـ ٨٦ .

القرآن، وفي المطلب الثاني: تناولت الاعجاز الحسي في ايات القرآن الكريم، والمطلب الثالث: نماذج من علماء العراق وأثرهم في الإعجاز.

المطلب الأول: الإعجاز العلمي للقرآن الكريم:

كثُرت في الآونة الأخيرة وبالتحديد عبر القرنين الماضيين أو دونهما دراسات خرجت من ذاتية الإعجاز النفسي للقرآن إلى صور أخرى من الإعجاز لا تتأتى بغير التأويل البعيد لبعض آيات القرآن الكريم .

وقبل الشروع في البحث لا بد لنا من تعريف الإعجاز لغة واصطلاحا:

الاعجاز لغة: والاعجاز من العجز، وأعجزَه الشيءُ فاته وجمعه أعجاز، وأعجز فلاناً وجده عاجزاً وصّيره عاجزاً، والتعجيز التثبيط والنسبة إلى العَجزِ، ومعجزة النبي ﷺ ما أَعْجَزَ به الخصمَ عند التحدي، والهاءُ للمبالغة وعاجزٌ فلانٌ ذهب فلم يُوْصَلْ إليه، وفلاناً سابَقَهَ فعَجزَه فسبقه، وإلى ثِقَةٍ مال إليه، وتَعَجَّزْتُ البعيرَ ركبتُ عَجُزَه وقوله تعالى ﴿ معاجزين ﴾ ؛ " أي: يعاجزون الأنبياءَ وأولياءهم، يقاتلونهم ويمانعونهم ليعيدوهم إلى العجز عن أمر الله تعالى، أو معاندين مسابقين أو ظانين أنهم يعجزوننا " [1].

أما الاعجاز في الإصطلاح: فقد عرَّفه الرازي في محصله المعجز بأنه " أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي، مع عدم المعارضة، وإنما قلنا أمر؛ لأن المعجز قد يكون إتيانا بغير المعتاد، وقد يكون منعا من المعتاد، وإنما قلنا: إنه خارق للعادة ليتميز به المدعى عن غيره، وإنما قلنا إنه مقرون بالتحدي لئلا يتخذ الكاذب مُعْجِزَ مَنْ مضى

(١) باب الزاى فصل العين جـ٢ صـ١٨٧، صـ١٨٨ من القاموس المحيط لمجد ا لدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى الطبعة الثانية، مصطفى البابى الحلبى .

حجة لنفسه، وليتميز عن الإرهاص والكرامات، وإنما قلنا: إنه مع عدم المعارضة، ليتميز عن السحر والشعبذة " [١].

فالمعجزة أمر خارق للعادة وهذا الأمر مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة وهى: إما حسية، وإما عقلية[٢].

يقول الرافعي: "إن القرآن معجز بالمعنى الذي يفهم من لفظ الإعجاز على إطلاقه حين يُنْفَى الإمكان بالعجز عن غير الممكن"[٣].

الفرع الأول: موقف العلماء من الاعجاز القرآني:

وقد سبق العلماء الأوائلُ إلى تعداد ما يحتويه القرآن من مثل ذلك، فقال ابن أبي الفضل المرسي في تفسيره: جمع القرآن علومَ الأولين والآخرين بحيث لم يُحِطْ بها علما حقيقة إلا المتكلم بها ثم رسولُ الله ﷺ خلاف ما استأثر به سبحانه وتعالى، ثم روت عنه– أراد عن النبي ﷺ – معظمَ ذلك سائرُ سادات الصحابة وأعلامهم ... إلى أن قال: ونظر قوم إلى ما فيه من الآيات الدالات على الحكم الباهرة، فذكر علم المواقيت، والمعاني، والبيان، والبديع، والطب والهيئة، والهندسة، والجدل، والمقابلة، وأصول الصنائع، وأسماء الآلات التي تدعو الضرورة إليها: كالخياطة، والحدادة، والبناء، والفلاحة، والصيد، والغوص، والصياغة والكتابة والخبز، والطبخ، والجزارة، والبيع والشراء

---

(١) كتاب المحصل " وهو محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والمتكلمين " لأبى عبد الله محمد بن عمر بن حسين فخر الدين الرازي (٦٠٦ هـ) (١١٤٨ م – ١٢٠٩ م) تحقيق، حسين أتاى مكتبة التراث ٢٢ شارع الجمهورية – القاهرة – صـ٤٨٩.

(٢) ينظر: الإتقان للسيوطي صـ١٠٠١ .

(٣) تاريخ آداب العرب جـ٢صـ١٥٦ الناشر دار الكتاب العربي بيروت – لبنان، الطبعة الرابعة ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م .

والصبغ والحجارة، وجميع ما وقع ويقع في الكائنات ما يحقق معنى قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ (١)(٢).

قال في الاتقان: " من بعض وجوه إعجاز القرآن ما ذكر الله فيه من أعداد الحساب والجمع والقسمة والضرب والموافقة والتأليف والمناسبة والتصنيف والمضاعفة ليَعْلَمَ بذلك أهلُ العلم والحساب أنه ﷺ صادق في قوله، وأن القرآن ليس من عنده إذ لم يكن ممن خالط الفلاسفة ولا تلقى الحُسَّابَ وأهل الهندسة " (٣).

"ومعجزة القرآن تختلف عن معجزات الرسل السابقين في كثير من زوايا الإعجاز، وللقرآن إعجاز لا يتنبه إليه العقل إلا بعد أن ينشط ويكتشف المستور عنه من حقائق الكون وأسراره، حينئذ يتبين أن للقرآن وجوهَ إعجازٍ أخرى أو جديدة تزيد في معنى الإعجاز أو تعطي أبعادا جديدة لما يقال "(٤).

هذا ما قرره الشيخ الشعراوي من أن ابتداء تنبه المسلم إلى وجه إعجازي قد لا يتأتى من القرآن مباشرة، بل ينبع رفده من الكون ويبزغ بريقه من أسرار هذا الكون سواء ما كان بالفكر العقلي المجرد أو بواسطة ما يتوصل به إلى غموض هذه الأسرار من وسائل .

---

(١) سورة الأنعام: ٣٨.

(٢) الإتقان من صـ١٠٢٧ إلى صـ١٠٣٣ جـ٢ .

(٣) الإتقان صـ١٠٣٣ جـ٢ .

(٤) معجزة القرآن محمد متولي الشعراوي جـ١ صـ٢٣ .

يقول الشيخ: " فإذا انتقلنا إلى الاختراعات الحديثة نجد أنها اكتشاف لقوانين الكون"[١] وفي صفحة أخرى يقول الشيخ " إن القرآن لم يأت ليعلمنا أسرار الوجود ولكنه أشار إليها وسجلها ليظهر الإعجاز الإلهي للناس في كل عصر ومع تقدم العلم البشرى... على أن ربط القرآن الكريم بالنظريات العلمية شيء لا يجب أن يحدث، فالقرآن لا تُرْبَطُ صحتُه باتفاقه مع نظرية علمية أياً كانت ولكن العلم هو الذي يستمد صحته وبيانه إذا اتفق مع آيات القرآن الكريم، فكل علم مخالِف لحقائق القرآن هو علم زائف ؛ لأن قائل القرآن هو الله سبحانه وتعالى وخالق الكون هو الله سبحانه وتعالى"[٢].

والأستاذ فوزي شعبان مترجم كتاب أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية لمؤلفه دكتور موريس بوكاي[٣] في مقدمة الترجمة يقول: " وقد احتوى القرآن الكريم على آيات بينات في العلوم الطبيعية أخرجها الأستاذ يوسف مروة في كتاب (العلوم الطبيعية في القرآن الكريم وبلغت ٧٧٤ آية) بالتحديد ومفصلة كما يلي: الرياضيات ٦١، الفيزياء ٢٦٤، الذرة ٥، الكيمياء ٢٩، النسبية ٦٢، الفلك ١٠٠، المناخيات ٢٠، المائيات ١٤، علم الفضاء ١١، علم الحيوان ١٢، علم الزراعة ٢١، علم الأحياء ٣٦، الجغرافيا العامة ٧٣، علم السلالات البشرية١٠، علم طبقات الأرض ٢٠، علم الكون وتاريخ الأحداث

(١) معجزة القرآن محمد متولي الشعراوي جـ٢ صـ٢٨٧ .

(٢) معجزة القرآن محمد متولي الشعراوي جـ٣ صـ٣٩٨، ٣٩٩ .

(٣) موريس بوكاي: طبيب فرنسيّ نشأ على المسيحية الكاثوليكية، وكان الطبيب الشخصي للملك فيصل آل سعود ومع عمله في المملكة العربية السعودية وبعد دراسة للكتب المقدسة عند اليهود والمسلمين ومقارنة قصة فرعون، أسلم وألف كتاب التوراة والأناجيل والقران الكريم بمقياس العلم الحديث الذي ترجم لسبع عشرة لغة منها العربية، ينظر موقع الويكبيديا.

الكونية٣٦ " [١]

وتحت عنوان شهادات منصفة ساق الأستاذ محمد سامي محمد علي في كتابه (الإعجاز العلمي في القرآن الكريم شهادة موريس بوكاي وقد ألقى الدكتور محاضرة في أكاديمية العلوم الفرنسية بباريس سنة ١٩٦٧ حضرها حشد كبير من العلماء في شتى فروع العلوم الحديثة، وبعد أن عرض حقائق القرآن الكريم في شتى ميادين العلم سأل أخيراً هؤلاءِ العلماءَ قائلا: "هل لكم أن تخبروني من أين جاء محمد بهذا العلم الحديث، وقد أكدتم أنفسُكُم يا علماء الغرب و الشرق وبعد محاولات طويلة عبر الزمن أن ما جاء منسوبا للتوراة والإنجيل جاء مناقضا للعلم الحديث ومفاهيمه كافة فطرحتموه جانبا، تاركين أمره لخيال المؤمنين وأهل الأديان، فمن أين لمحمد هذا العلم؟" فسكت الجميع ولا من مجيب فقال بوكاي: بالطبع لا جواب عندكم! والجواب عندي: أنه من عند الله وأن محمداً رسول الله، وقد أحدثت هذه المحاضرة ضجة إعلامية في أنحاء أوربا [٢].

يقول الأستاذ محمد سامي عن علوم الإعجاز العلمي في القرآن الكريم : النظرية التي بين الأخذ والرد لا يصلح لنا تطبيقها على الآية القرآنية أما الحقيقة العلمية فمن المستحيل أن تتناقض أو تتصادم مع الآية القرآنية، ونتحدى الآن أو في المستقبل ظهور حقيقة علمية تخالف القرآن الكريم ؛ إذاً لا مانع إطلاقاً أن نطبق الحقيقة العلمية على الآية القرآنية التي تلفت الأنظار إلى إشارات علمية كونية " [٣].

---

(١) أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية صـ٥ .

(٢) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم صـ١١٦، نقله عن كتاب القرآن والعلوم الحديثة لإبراهيم فواز عراجي صـ٦١ .

(٣) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم محمد سامي صـ٢٦ .

لكن علينا ونحن نبحث في أسرار القرآن الكريم لاستخراج الدرر واللآلئ العلمية أن نخضع تفسيرنا هذا لشروط نَصَّ عليها علماء التفسير الذين عُنُوا بمناهج البحث، وهذا الميزان لا يتمثل في أكثر من الميزان الذي نعتمد عليه لتفسير أي كلام عربي، ويتكون هذا الميزان من المقومات والأركان التالية:

١.خضوع التفسير لدلالات اللغة العربية وقواعدها التي لا خلاف عليها.

٢.خضوعه لقواعد تفسير النصوص المتفق عليها كأحكام العموم والخصوص والإطلاق والتقييد والمنطوق و المفهوم وما إلى ذلك من قواعد.

٣.ألا يتعارض التفسير معارضة حادة مع مضمون أي آية أخرى في القرآن بحيث لا يمكن الجمع بينهما بحال تحت ظل أي قاعدة من قواعد تفسير النصوص.

٤.ألا يتعارض التفسير معارضة حادة مع الدلالة الثابتة لنص حديث نبوي صحيح بحيث لا تترك هذه المعرضة سبيلا سائغا للتوفيق بينهما [١].

وفي ضوء التطبيق لضوابط هذا الميزان تلزم ضرورةُ الانطلاق من القرآن الكريم وفي قوله تعالى: ﴿ غم فج فح فخ فم قح﴾[٢] تحديد لكيفية الرؤية العلمية، بازغة أولاً من القرآن الكريم وهى في أوج ظهورها في الكون شاهدة بصدق القرآن، ولكن حين نأخذ من المشاهد النظرية تفسيراً للقرآن نكون قد أوقفنا أنفسنا في منزلق خَطِر، إذا ما جنحت النظرية إلى تعارض مع نظرية أخرى، وبالتالي يتوجب علينا التحسب إلى مثل هذه الأمور، فإنه حين يخفق المرء في استخراج المعاني المزيحة لحجب الجهل البشرى بنور العلم القرآني ينصرف العلماءُ – بحسن نية هي السذاجة في أصلها – وأشباهُ العلماء –

(١)الإعجاز العلمي في القرآن الكريم محمد سامي صـ٢٧.

(٢) سورة فصلت: ٥٣

إلى درك مطالب الإلحاح الساذج أن العلمَ يوافقُه القرآنُ .

وهناك من يرى صحة الانطلاق من خارج القرآن فيقول: " ففي أيامنا هذه استطاع العلم أن يرى ما سبق إليه القرآن بالبيان والتعريف مع أنه يبين معنى قولٍ منسوب إلى المسيح هو " ويخبركم بأمور آتية " ومعلوم أن الخبر لا يتوقف فهمه على أمر لاحق"[١].

وكل هذا الكلام يصح في أبعاض كل هذه الفروع العلمية، فحين تجد فرعاً منها لا يلزم أن تستغرق الآيات تفاصيلَ هذا الفرع، ولكن تمتد من القرآن آيات توضح وتفسر بعض الحقائق الكونية في ظواهرها الطبيعية، فكل ما يقع تحت رؤية البشر مع استدامة توحُّدِ هذه الرؤية مَدَّ الزمن هو الذي يُفترض فيه أن يكون حقيقة تواكب إشارات القرآن على نحو لا يُحْدِثُ اختلافا في المفهوم في زمن ما، وما يأخذ في حين تفسيراً يختل في حين آخر لا شك شيء لم يُعَايَنْ بغير افتراضاتٍ ونظريات بُحِثَ لها عن تفسير فيه مجمل تفصيل الرؤية لظاهرة غامضة التفسير، غائرة المدى[٢].

وأقرب مثال طروء تناقضات عدة في تفسير اختلاف حركة الشمس أو الأرض أو هما معاً، والصورة التي تتخذها الأرض في الذهن لإقامة تفسيرٍ لا برهانَ على النظام الشمسي الدقيق، حتى بدت في أفق علم الفلك نظريات ثلاث تشرح كل منها تعليل الليل والنهار والفصول الأربعة وغير ذلك مما يتعلق بهذا، وإحدى هذه النظريات – نظرية كوبرنيقوس – يمكن القول أنها استحمكت في التصور الفكري البشري واستولت عليه،

---

(١) قالوا عن الإسلام الندوة العلمية للشباب الإسلامي صـ٤٩ نقلاً عن كتاب محمد في التوراة والإنجيل والقرآن صـ٤٧، ٤٨ لمؤلفه إبراهيم خليل أحمد وهوقس من مواليد الإسكندرية أسلم رسمياً عام ١٩٥٩م وانظر الكتاب نفسه محمد في التوراة والإنجيل والقرآن دار المنار للنشر والتوزيع ط ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م صـ٥٥ فهو موضع الاستشهاد .

(٢) ينظر: عناية المسلمين بابراز وجوه الاعجاز في القرآن الكريم، حسن عبد الفتاح احمد، ص١٠٩.

بغض النظر عن دلالات نصوصٍ دينية [١].

ولم يكن للقرآن الكريم أن يقبض إسهاماته في سبر البشر أغوار ظواهر الكون فأمد بما يقيم به نظرية وينفي به أخرى، ولا كمال للقبولِ لنظرية واحدة من الثلاث بل تحتمل الآياتُ والأحاديثُ مباركةَ كلِّ نظريةٍ في طرف منها أو في بعضها الأكبر.

فحين تفترض بعض النظريات أن الأرض في شكلها كرة مفلطحة (غير كاملة الاستدارة) وتدور حول نفسها وحول الشمس ليحدث بالدورتين الليل والنهار والفصول الأربعة، ترى نظرية أخرى أن الأرض لا تدور بل ليست لها جاذبية وتنفي بعضا مما ألفه الناس وآنسوه من نظرية كوبر نيقوس التفسيرية لحركة المجموعة الشمسية، ونجد النظرية المعارضة للمألوفة من النظريات ترى أن الأرض لا تدور وإنما تدور حولها الشمس[٢] وأن سجودها تحت العرش يكون فوق المحيط في الجهة المقابلة لمركز اليابسة (مكة المكرمة) وأن هذا الموضع لا يختلف باختلاف الأيام على مدار العام .

وتبرز نظرية ثالثة تعضد النظرية الوردانية السابقة في بعضها وتختلف عنها في أن الكون أرضى بمعنى أن الأرض ليست كروية، بل مجوفة مسقوفة بالسماء ونحن في الداخل والشمس تدور في فلكها داخل الأرض التي يحيا فيها جميع الأحياء . [٣]

ولسنا بحاجة إلى ضرورة مد الأيدي لتؤيد نظرية وتلغى أخرى إلا على أساس من انبثاق وجه مرجح لإحدى النظريات الثلاث، وهذا يؤشر على أهمية التريث في سحب

---

(١) ينظر: مرصد إسطنبول هدم الرصد ورصد الهدم، تطور ثقافة العلوم في الإسلام بعد كوبرنيكوس، سامر عكاش، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ص٨٩.

(٢) قصة الخلق من العرش إلى الفرش عيد ورداني . الشركة العصرية للنشر – المركز الدولي للنشر، الصفحات ٢٩٤، ٣٥٢، ٣٨٧، ٤٧٧، ٥٣٣ .

(٣) تناقض علم الفلك مع القرآن الكريم وتوافق نظرية الكون الأرضي معه . مصطفى أحمد عبد القادر .

المعاني من النظريات الفرضية التفسيرية للظواهر الكونية إلى معاني القرآن الكريم[١] .

بل يجب أن لا نكترث بعدم التوافق بين النظريات العلمية والمعاني القرآنية وحَرِيٌ بنا أن نقف على مثال يؤيد أهمية الأخذ من القرآن أَوَّلا وابتداءً ؛ لأنه لا يعطى في بسط المعنى إلا حقائق العلم حين يتكافأ الفهم عن القرآن مع صحة النظر في الكون، متخذاً من قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ي ذ ر ى ﴾[٢] منطلقا لبحث الوسطية المذكورة في القرآن، فخرج بنتيجة علمية مركوزة على دراسات بالحاسب الآلي، مفاد هذه النتيجة أن الوسطية لا تعنى الوسطية المعنوية فحَسْب، بل يُرَادُ بها كذلك الوسطية الحسية، حيث برهن على أن واقع الأرض – بمقاييس العلم الحديث – لا يتوسط يابسها وقراها إلا أم القرى، ومركزها هو الكعبة المشرفة،[٣] فتحقق بيان معنى ﴿ك ي ل ى ﴾[٤]

ومن هذا يتضح أن ما كان البدء به من القرآن هو المعول عليه في احتسابه وجه إعجاز، أما ما استجلب من تفسير النظريات – دون الحقائق – العلمية، قد يروق في أول الأمر ثم يفارق التوافق الفهم عند بروز نظرية أخرى تناهض الأولى أو تنقضها .

الفرع الثاني:أسس استنباط وجوه الإعجاز وقواعده:

ذكرنا سابقاً أن المعجزة هي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم من المعارضة، وقد ناقش العلماء مدلولها كثيراً، وتعالجوا شروطها طويلاً، لكن نكتفي بما ذكره القرطبي

---

(١) ينظر: الاعجاز اللغوي، سهى خضر، ص٩٧.

(٢) سورة البقرة ١٤٣.

(٣) الكعبة مركز العالم مكتبة المنار الإسلامية – الكويت، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت، ومثل ذلك في كتاب الكعبة المشرفة سرة الأرض ووسط الدنيا . دكتور أحمد السيد دراج . دار العلم والثقافة القاهرة، ص٢٩.

(٤) سورة الشورى ٦

في(كتابه الجامع لأحكام القرآن) من شروطِ لا يصح من دونها الحادث أن يسمى معجزةً وهى:-

١- هذا الحادث ينبغي أن يكون مما لا يستطيعه إلا الله.

٢- أن يخرج على قوانين الطبيعة.

٣- ينبغي أن ينبئ عنه الحكيم قبل أن يقع بأن كذا وكذا سيحصل.

٤- ويجب أن يكون الحادث الواقع موافقا لما قال مِنْ قبل.

٥- وألا يكون في استطاعة أحد أن يجري مثل هذا الأمر[١].

هذه هي شروط المعجزة، ولننظر ماذا كان منها متحققاً عندما تلقى العرب القرآن عند أول نزوله؛ ذلك أنهم دهشوا بما غالبهم عليه القرآن من البيان، وعجزوا مع تحديه لهم مع آياته أو سوره الأولى أن يأتوا بمثله .

وعجز العرب ولم يتبين أحد وجه عجزهم، ولكنهم عجزوا، وراح كل أحد يضرب في آفاق الفهوم عله يلتقط تعليلا لهذا الإعجاز المحيط بالقرآن، وكان لا بد من أساس ينظر من خلاله منفذاً تُرَى منه وجوه الإعجاز، وخاض الناس في ذلك كثيراً فبين مسيء ومحسن على النحو التالي: -

١- عجز البعض عن إدراك الإعجاز في القرآن الدال على الكلام القديم لله تعالى، فزعموا أن التحدي وقع بالكلام القديم الذي هو صفة الذات والصواب ما قاله الجمهور: أنه وقع بالدال على القديم وهو الألفاظ[٢] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ١صـ٦٩-٧١ .

(٢) الفصل جـ٣ صـ١٥، الإتقان جـ٢ صـ١٠٠٥ .

٢- ثم زعم النظام أن إعجازه بالصرفة، أي أن الله صرف العرب عن معارضته، وسلب عقولهم، وكان مقدوراً لهم، لكن عاقهم أمر خارجي، فصار كسائر المعجزات[١].

يقول الجرجاني: "اعلم أن الذي يقع في الظن من حديث القول بالصرفة أن يكون الذي ابتدأ القول بها ابتدأه على توهم أن التحدي كان إلى أن يُعَبِّرَ عن أنفس معاني القرآن بمثل لفظه ونظمه، دون أن يكون قد أُطْلِق لهم وخُيروا في المعاني كلِّها، ذاك لأن في القول بها على غير هذا الوجه أمورا شنيعة، يبعد أن يرتكبها العاقل ويدخل فيها"[٢] .

وعجائب القرآن في نظمه هي التي بعثت على التصنيف في علوم البلاغة بعد أن ذاق أصحاب الفطر السليمة جملا من حلاوة هذا الكتاب فقعدوا لعلوم نظم الكلام قوَاعِدَهُ، يضاف إليها كلَّ حين ما يُفَصِّلُ مجملها حتى صارت البلاغة بعلومها الثلاثة علما قائما بذاته على نحو ليس هذا مجال ذكره[٣].

هذا من حيث ما يتعلق باللفظ ومعناه القريب الدائر مع كل قارئ متدبر للقرآن الكريم، وفيه جميع آياتِ القرآن على سواء، أما من حيث المعنى المستحدَث فهو الخاص بآياتَ معينة تمس وصفا لظاهرة علمية كدلائل على قدرة الله تعالى، أو تحتمل وصفا لظاهرة كونية [٤].

ومثال الأولى: ما جاء في القرآن من آيات التقاء البحرين دون أن يبغي أحدهما

---

(١) الإتقان صـ١٠٠٥، بيان إعجاز القرآن صـ٢٢ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن .

(٢) ثلاث رسائل في إعجاز القران الكريم، الرسالة الشافية١٢٦.

(٣) في قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية د/ عبد العزيز عبد المعطى عرفة طبعة دار الكتب ط١ – ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م ذكر المؤلف أن خفاء المشبه به في قوله تعالى " طلعها كأنه رءوس الشياطين" الصافات ٦٥، كان سببا في تأليف كتاب مجاز القرآن لأبى عبيدة .

(٤) ينظر: الاعجاز اللغوي في فواتح السور، سهى خضر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ص٢٩.

على الآخر، وخروج اللؤلؤ والمرجان منهما، فهذا المعنى يدور في فهم كل قارئ للقرآن منذ نزوله وحتى قيام الساعة، وحين يقول الله في شأن البحرين ومن كلٍ تأكلون لحما طريا فإنه يقع عليها فهمان.

فهم قريب: وهو أن الله يُظْهر مِنَّته على عباده إذ جعل لهم لحما طريا من البحرين(١).

وفهم أعمق: هو أن اللحم من المالح ليس مالحا بل اللحمان مع اختلاف بيئتهما بينهما وصف جامع هو عدم الملوحة فيهما (٢) .

ومثال الثانية: الآيات التي نقل معناها القريب بالتأويل إلى تفسيرات للظواهر الكونية مُوافِقة للنظريات العلمية التي درج الأخذ بها في تفسير هذه الظواهر .

والنوع الأخير يتوقف الأخذ به على تفهم النظريات خارج ألفاظ القرآن ثم يعمد أصحاب هذا الشأن إلى البحث في آيات القرآن عما يتفق وهذه النظريات من القرآن.

ومن هذا النوع حَمْلُ بعضِ الآيات على نبوءات قرآنية دون أن تصرح هذه الآيات بإخبار بغيب ماض أو مستقبل، ومبنى هذين النوعين التأويل المحتمل لبعض الآيات، أما الإخبار عن الغيبيات مما انطوت عليه دون غيره الألفاظ فهذا يعد في حكم المعنى القريب للألفاظ(٣).

---

(١) ينظر: جامع الأحكام الفقهي للامام القرطبي في تفسيره، فريد الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٣٦/٢.

(٢) ينظر: الاعجاز اللغوي، سهى خضر، ص٢٩.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص٢٩.

المطلب الثاني: الإعجاز في خلق آلات الحواس:

أنعم الله سبحانه وتعالى على الإنسان، بأن جعل له تلك الحواس التي ينتفع بها في حياته، وتشعره بعظمة خالقه، وقدرته البالغة في السموات والأرض، فكانت في تكوينها، وتركيبها، تبهر العقل، وتدهش الفكر، لما فيها من الفوائد الجمّة. وقد قال تعالى﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ [١] .

إنَّ الإعجاز في الحواس الإنسانية يتجلى في طبيعة تكوين آلاتها، إذ جعل سبحانه لكل حاسة آلتها التي تختص بها، فتؤدي تلك الآلة وظيفتها التي أنيطت بها، فعندما نتأمل في الخلقة التي عليها، (حاسة السمع) تلك الحاسة التي تعد من أهم الحواس البشرية التي خلقها الله – سبحانه وتعالى– نتيقن ببالغ قدرة خالقها؛ إذ إنها وسيلة إلى المعرفة، فبها يحدث الاتصال الصوتي بما حولنا، ومن ثمَّ تحدث عملية الحوار بين المرسل والمتلقي، فهي عملية الأخذ والعطاء بينهما، فإذا فقد السمع، عدمت قدرة الإنسان على تلقي المؤثرات الخارجية السمعية، ومن ثَمَّ الاستجابة لها، فيصبح كالغائب عن الوجود، بل كالميت، فهذه الحاسة تعد حلقة من حلقات اتصال هذا المخلوق البشري بما حوله من علامات محيطات[٢] دالات على وجود الخالق سبحانه وصفاته، وفضلاً عن ذلك، " فإن التعليم والتعلم والنطق موقوفة عليه، وهو يتعلق بالقريب والبعيد"[٣].

ولما كانت الأُذُن آلة السمع، فقد جعلها الله سبحانه وتعالى في تركيب يتلائم والوظيفة المنوطة بها، إذ جعلهما أذنين، وجعل السمع من جهتين، بأن شقهما تبارك وتعالى في جانبي الوجه، وأودعهما من الرطوبة ما يكون معيناً على إدراك السمع، وأودعهما القوة السمعية، وجعل سبحانه الأُذُن عضواً غضروفياً ليس بلحم مسترخ، ولا

---

(١) سورة غافر ٦٤.

(٢) إعجاز القرآن في حواس الإنسان: الدكتور محمد كمال عبد العزيز ص٦١.

(٣) جامع العلوم ١٨٢/٢.

عظم صلب، بل هي بين الصلابة واللين، فتقبل بلينها، وتحفظ بصلابتها، ولا تتصدع انصداع العظام، ولا تتأثر بالحر والبرد، والشمس والسموم تأثر اللحم، إذ المصلحة في بروزها؛ لتتلقى ما يرد عليها من الأصوات والأخبار[١] .

ومما يزيد من الشعور بالإعجاز الخلقي في تكوين هذه آلالة، هو أن الله – سبحانه– جعل للسمع فيها طريقتين: أحدهما طريق العصب السمعي، والآخر طريق عظام الرأس والجمجمة، وليس ذلك إلا لحكمة؛ وهي إنه إذا حدث خلل في إحداهما، كان الطريق الآخر سليماً ويؤدي وظيفته[٢] .

وأما الحكمة في جعله تعالى للإنسان أذنين على يمين الوجه وشماله فهي " لكون إدراكهما لما خلف الإنسان، وأمامه، وعن يمينه وعن شماله سواء ، فتأتي المسموعات إليهما على نسبة واحدة "[٣] .

فبهذا يدرك الإنسان قدرة الخالق على إيجاد هذه الخارقة العجيبة التي يعجز الإنسان برغم تقدم العلم عن صنع جهاز، يقارب جهازها المتقن في تكوينه، وفي إداء وظيفته، وذلك يدل على إنه لم يكن إلا من صنع خبير عليم، فلم يبق بعد ذلك سوى الاتعاظ والإيمان بالقدرة الإلهية المتقنة لكل شيء، ولذا قال تعالى: ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[٤] .

أما (حاسة البصر) فلا تقل أهميتها عن حاسة السمع ؛ إذ هي وسيلة للمعرفة أيضاً، ما تعلق منها بالدين أو بالدنيا، وقد جعل الله سبحانه وتعالى لها آلة تقوم بوظائفها وهي (العين)، ذلك المصباح المنير الذي جعله الله في أعلى الوجه، ليصل به الإنسان عن طريق النظر والتأمل إلى حقائق الدين، وأمور الدنيا، وإذا تأملنا في أحوال العين،

---

(١) التبيان في أقسام القرآن: ابن قيّم الجوزية ص١٩٢.

(٢) إعجاز القرآن في حواس الإنسان ص٢٣.

(٣) التبيان في أقسام القرآن ص١٩٢.

(٤) النمل (٨٨).

تبين لنا: أن الخالق سبحانه وتعالى جعل موضع الإبصار في العين مقدار عدسة واحدة ، فأظهر في تلك العدسة صور السماء والعالم مع اتساع أطرافها وتباعد أكنافها، وجعل البياض فيها مناسباً للنور والسواد مناسباً للظلمة[١].

كما أَنه –سبحانه– جعل الحدقة مصونة بالأجفان لتسترها وتحفظها، وتصقلها، وتدفع الأقذار عنها، وفضلاً عن ذلك " جعلها سوداء إذ لو كانت بيضاء لتفرق النور الباصر، فضعف الإدراك، فإن السواد يجمع البصر، ويمنع من تفرق النور الباصر، وخلق سبحانه لتحريك الحدقة وتقليبها أربعاً وعشرين عضلة، لو نقصت عضلة واحدة لاختل أمر العين"[٢] .

وفضلاً عن ذلك، جعل سبحانه العين كالمرآة التي ينتفع بها، إذا كانت في غاية الصقالة، والصفاء، فالعين من أرقّ أعضاء البدن، ثم إن جميع الأعضاء تتأثر بالحر والبرد إلا العين، فهي لا تؤثر فيها تلك الأحداث، وكان ينبغي في الظاهر أن يكون الأمر بخلاف ذلك ؛ لأن الأرقّ أسرع تأثيراً بما حوله ، وما ذاك إلا ليُعلم أن حصول المصالح ليس بالطبع والخاصية ، بل بحفظ العليم الرحيم[٣] .

ورب سائل يقول: ما الحكمة في أن يجعل الله العينين في وسط الوجه؟ والجواب: "لأنَّ العينين محل الملاحة والزينة والجمال ، وهما بمنزلة النور الذي يمشي بين يدي الإنسان "[٤] .

وفضلاً عن ذلك فإن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان فأحسن خلقه، ونبه عليه بقوله: ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ [٥] .

---

(١) أسرار التنزيل وأنوار التأويل: فخر الدين الرازي ص٥١١.

(٢) التبيان في أقسام القرآن ص١٩١.

(٣) أسرار التنزيل وأنوار التأويل ص٥١١.

(٤) التبيان في أقسام القرآن ص١٩٢.

(٥) سورة التغابن ٣.

فجعل كل عضو من أعضائه في موضعه الذي لا يغنى عنه موضع آخر، فكان وضع العين في هذا الموضع أليق به من سائر المواضع، ومن حكمته –سبحانه– إنه خلق العينين بغطاء، والأُذنين بغير غطاء، وهذا كما يذكر ابن قيم الجوزية في غاية الحكمة، وعلة ذلك عنده إنه " لو كان للأذنين غطاء لمنع الغطاء إدراك الصوت، فلا يحصل إلا بعد ارتفاع الغطاء. والصوت عَرَض لإثبات له، فكان يزول قبل كشف الغطاء "[١].

وإذا انتقلنا إلى **(حاسة الذوق)**، تلك التي بها نستطيع أن نميز أنواع الطعوم: الحلو، والمر، والحامض، والمالح، فقد خلق سبحانه " ثلاثة آلاف شعيرة تتذوق الطعام لتعطيك طعم الحلو، والمر، وكل الألوان المختلفة لتذوق الطعام "[٢] .

فهي من الحواس ذات الصفة الكيميائية، إذ تتضمن نوعاً من التفاعل الكيميائي بالتبادل بين مادة التذوق وعدد من الظواهر الكيميائية[٣]، وترتبط حاسة الذوق والشم ارتباطاً وظيفياً، إذ إن كثيراً من الأطعمة التي تعدها ذات نكهة مميزة ندركها في الواقع برائحتها لا بطعمها[٤] .

ولما كان لكل من السمع والبصر آلة تؤدي وظيفتها، جعل الله للذوق آلة، وهي اللسان، ذلك العضو المرن الكثير الحركة، وقد جعله الله – سبحانه– " عضواً لحمياً، لا عظم فيه ولا عصب، لتسهيل حركته، ولهذا لا تجد في الأعضاء من لا يكترث بكثرة الحركة سواه. فإن أي عضو من الأعضاء إذا حركته كما تحرك اللسان، لم يطق ذلك،

---

(١) التبيان في أقسام القرآن ص١٩٢.

(٢) معجزة القرآن: محمد متولي الشعراوي ص١٧٤.

(٣) علم النفس الفسيولوجي: الدكتور عزت سيد إسماعيل ص٣٣٦.

(٤) علم النفس الفسيولوجي: الدكتور أحمد عكاشة ص٧١.

ولم يلبث أن يكل ويخلد إلى السكون، إلا اللسان ... فإنه من أعدل الأعضاء وألطفها "[١]؛ ولذلك وصفه ابن قيم الجوزية بأنه في الأعضاء بمنزلة رسول الملك ونائبه[٢] .

وقد جعل الله سبحانه وتعالى لهذا العضو وظائف تفوق وظائف الحواس الأخرى؛ إذ لكل عضو من أعضاء الحس وظيفة واحدة، إلا هذا العضو، فالعين للبصر، والأُذن للسمع، والأنف للشم، والأنامل من أشد جوانب الجلد إحساسا باللمس، أما هذا العضو وهو اللسان فقد شاءت له العناية الربانية أن يكون آلة للذوق، وآلة للمضغ والبلع والهضم، وآلة للمس والمّس، وآلة للتكلم، بل وآلة لضروب من الرموز كالتعجب والسخرية بما يظهر منه حركات وإشارات[٣].

فمن أجل أن يكون اللسان آلة للذوق، فرش سطحه وجانباه بحليمات تمتص الطعوم وتؤديها إلى الأعصاب المنتشرة في باطنها، وشاءت العناية الربانية أن يكون صنفان من هذه الحليمات للذوق خاصة دون اللمس، كي لا يختلطان فيتعطل عمل أحدهما عند فقد الآخر، فقد يفقد الحس العام عند الإنسان وتدوم له حاسة الذوق، أو يفقد الذوق ويدوم له الحس العام.

ومن اجل أن اللسان آلة للمضغ، زوده الله تعالى بعضلة قوية نشيطة لعوب، ولولا ذلك ما أمكن مضغ ولا بلع، ومن اجل أن اللسان آلة للتكلم وخروج الأصوات من الحنجرة، شاءت إرادة الله أن يخلق معه شفتين؛ لتكون وسيلة لتقطيع الهواء وإخراج الحروف؛ ولولا ذلك ما كان لنا كلام فصيح، ولولا الشفتان لكان الإنسان فاغراً يسيل لعابه، ويدخل الغبار إلى صدره والحشرات إلى اللهاة[٤] .

([١]) التبيان في أقسام القرآن ص١٩٥.

([٢]) التبيان في أقسام القرآن ص١٩٥.

([٣]) قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن: نديم الجسر ص٤٠٢.

([٤]) قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ص٤٠٣-٤٠٤.

وبهذا التكوين العجيب تتجلى عظمة الخالق سبحانه في خلق هذا العضو اللحمي ليؤدي وظائفه المنوطة به: من تذوق الطعوم، والنطق بالحروف، والبلع والهضم، فلا يمكن أن نتصور حال الإنسان كيف يكون، لو لم يكن ذلك العضو موجوداً، فكيف يكون حينئذ بمقدوره معرفة أنواع الطعوم؟، وكيف يمكنه أن ينطق الكلمات ليعبر بها عما في نفسه؟ أم كيف يؤدي وظيفة البلع وهضم الطعام الذي يأكله؟. فكان هذا العضو هو المعين على ذلك كله، بتكوين الله له بهذه الصفات الدالة على عظمته سبحانه .

أما **(حاسة اللمس)**، تلك التي تدرك بها المحسوسات، ويُميَّز بها محسوسٌ من آخر، فلم يجعل الله لها آلة معينة تؤدي وظيفتها في إدراك ذلك كله، بل جعل آلاتها تنتشر على الجلد المغطى للجسم كله؛ إذ ليس لهذه الحاسة عضو خاص بها كسائر الحواس الأخرى، بل إنها لتوجد على سطح سائر الحواس أيضاً، وما ذاك إلا لأهميتها، وحاجة الإنسان الماسة إليها[١] .

إن انتشار الأعصاب تحت الجلد، وتنوّع أجهزة الإحساس شيء لا يكاد يصدق؛ إذ تنتهي الألياف العصبية بجسيمات يختص كل نوع منها بنقل حس معين، فهناك جسيمات تنقل الإحساس بالحر، وأخرى بالبرد، وثالثة باللمس والضغط، ورابعة بالألم، وخامسة بالحس العضلي[٢] .

ويختلف الجلد من حيث الإحساس بالأشياء من منطقة إلى أخرى، فيكون إحساس الجلد بالأشياء أكثر شدة في الأعضاء التي تكون أكثر استعمالاً من غيرها في إدراك ماهية الأشياء واختيارها، كأطراف الأصابع وطرفي اللسان، وهي تقل على البطن والظهر، وتندر في أسفل القدمين[٣] .

---

(١) الحواس الإنسانية في القرآن الكريم: محمد طالب مدلول ص١٠٧.

(٢) الحواس الإنسانية في القرآن الكريم ص١٠٩.

(٣) علم النفس الفسيولوجي ص٢٧٠، المدخل إلى علم النفس العام: الدكتور أحمد فائق والدكتور محمود عبد القادر ص٨٩.

فالجلد إذن هو الوسيلة التي يحدث بها الإحساس بالأشياء عند لمسها، فيحس الإنسان بحرارتها، أو برودتها، فيتكامل عنده الإدراك لما يحيط به فيدرك عملياً ما في الطبيعة من عناصر مختلفة في الصفات، فيستدل بذلك على قدرة الباري–عز وجل– على الإيجاد والتكوين والإبداع.

وفي ضوء ما تقدم، ننتهي بالحديث عن عظمة الخالق في خلق الحواس وقدرته على منحها الصفات، بالحديث عن حاسة الشم، تلك الحاسة التي تعد أقل الحواس أهمية،[١] حتى أنها لم ترد في القرآن الكريم إلا في موضعين، ولم ترد مصرحاً بها، بل ورد ما يشير إليها أو يؤول إليها، في ذنِيكَ الموضعين: الأول في سورة يوسف، وهو قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ ﴾ [٢]. والآخر في سورة (محمد) وهو قوله تعالى: ﴿ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ﴿٦﴾﴾[٣].

لقد جعل الله –سبحانه وتعالى– لكل حاسة آلة، فجعل آلة الشم الأنف، إذ "رفعه سبحانه في وسط الوجنة بأحسن شكل، وفتح فيه بابين، وأودع فيهما حاسة الشم، وجعله آلة لاستنشاق الهواء وإدراك الروائح على اختلافها، فيستنشق بها الهواء البارد والطيب، فيستغنى بالمنخرين عن فتح الفم أبداً، ولولاهما لاحتاج إلى فتح فيه دائماً، وجعل سبحانه تجويفه واسعاً لينحصر فيه الهواء وينكسر برده قبل الوصول إلى الدماغ، فإن الهواء المستنشق ينقسم قسمين: شطراً منه– وهو أكثره– ينفذ إلى الرئة، وشطراً ينفذ إلى الدماغ، ولذلك يضر المزكوم استنشاق الهواء البارد"[٤] .

---

(١) ينظر: العناية بالأطفال المعاقين حركيا وفكريا ودمجهم في المجتمع، حمزة الجبالي، ص٤٨.

(٢) سورة يوسف ٩٤.

(٣) سورة محمد ٦.

(٤) التبيان في أقسام القرآن ٢٦٠.

ومما يزيد من الشعور بإعجاز الخلق والتكوين في آلات الحواس، وقدرة الباري الخارقة في خلقها وتكوينها، إنه سبحانه لم يخلق شيئاً على هيئةٍ معينة إلا لمنفعة فقد "جعل بين المنخرين حاجزاً، وذلك أبلغ في حصول المنفعة المقصودة، حتى كأنهما أنفان بمنزلة العينين، والأُذنين، واليدين، والرجلين، وقد يصيب أحد المنخرين آفة فيبقى الآخر سالماً، وجعل تجويفه نازلاً إلى أسفل، ليكون مصباً للفضلات النازلة من الدماغ، وستره بساتر أبدي؛ لئلا تبدو تلك الفضلات في عين الرائي "[١] .

ويلحظ أيضاً إنه –سبحانه– " لم يجعل في داخله الاعوجاجات ما جعل في الأُذن؛ لئلا يمسك الرائحة فيضعفها ويقطع مجراها"[٢].

وللأنف وظيفة أُخرى غير استنشاقه الهواء، وهي إعانة الإنسان على النطق السليم؛ إذ " إنه يعينه على تقطيع الحروف، وتسهيل إخراجها. فلذلك من قبض أنفه عسر عليه التكلم بأكثر الحروف"[٣] ، ولاسيما الصوتان الغناوان: النون والميم؛ إذ تسمع لغُنة عندئذ خُنَّة تغير الصوت، بحيث يبدو وكأنه عيب من عيوب النطق عند ذلك الشخص.

وبعد هذا البيان الموجز لهذا الإعجاز في الخلق والتكوين والتركيب، هل استطاع العلم أن يأتي بما يقاربه، فضلاً عن مثله؟ إن الجواب في هذا يقال: كلا هيهات أن يستطيع ذلك ﴿ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾[٤] وما هو بوالج.

---

(١) التبيان في أقسام القرآن ص٢٦٠-٢٦١.

(٢) مفتاح دار السعادة: ابن قيم الجوزية ١/١٩٠.

(٣) أسرار التنزيل وأنوار التأويل ص٥١٤.

(٤) سورة الأعراف ٤٠.

المطلب الثالث: نماذج من علماء العراق واثرهم في الإعجاز:

ممن سبق من العلماء الذين ذكرناهم فيهم من كان من أهل العراق ومن درس في بغداد ومن أقام فيها، إلا أننا اردنا أن نظهر عالماً عراقياً حديثاً ممن اشتغل بالإعجاز العلمي، وألّف فيها كتباً كثيرةً ، لذا سنتناول فيها بعضا من مؤلفاته العديدة واثره في الإعجاز اليوم .

الفرع الأول: اسمه ونسبه ومولده :

محمد باسل بن جاسم بن محمد الطائي فيزيائي عراقي متخصص في نظرية المجال الكمي ونظرية النسبية العامة. وهو يعمل حالياً أستاذاً للفيزياء الكونية بجامعة اليرموك بالأردن ، متزوج وله ابن واحد وثلاث بنات ، ولد محمد باسل الطائي في الخامس من آذار عام ١٩٥٢ في الموصل بالعراق وفيها تلقى تعليمه الأساسي والثانوي ، ثم التحق عام١٩٧٠ بجامعة الموصل واختار دراسة علم الفيزياء الذي شغف به منذ دراسته الثانوية [١].

الفرع الثاني: مؤلفاته: له العديد من الكتب سنحاول ذكر بعضها لاسيما ما يتعلق بحثها بعلم الاجتماع مع التركيز على جوانب الأهمية فيها:

وفي عام١٩٩٨، ألّف كتاب (خلق الكون بين العلم والإيمان)، طبع في دار النفائس ببيروت: وهو سياحة في أرجاء الكون، تبتدئ من الأرض لتعرج إلى أخواتها الكواكب الأخرى الدائرة حول الشمس الأم، والتي تؤكد بمجموعها المنظومة الشمسية، ويبتدئ بالتأسيس لمنهجية تُفهم بها آيات القرآن بإشاراته العلمية، ثم يعرض صفات الأرض، والقمر، والشمس، والكواكب السيارة، والمجرَّات، ويتطرق إلى مسألة خلق الكون في القرآن الكريم، ويقارنها بما توصلت إليه النظريات العلمية الحديثة[٢].

في عام ٢٠٠٩، صيرورة الكون (مدارج العلم، ومعارج الإيمان)، طبع في عالم الكتب

([١]) ينظر: موقع الويكيبيديا.

([٢])محمد باسل الطائي، خلق الكون بين العلم والإيمان، دار النفائس، بيروت ١٩٩٨.

الحديث – الأردن: يحاول هذا الكتاب الإجابة بشكل علمي دقيق على الأسئلة التالية: هل يتوافق القرآن مع علم الكونيات المعاصر تماماً ؟ وهل أن جميع الاكتشافات العلمية التي يتحدث عنها الفلكيون تتفق مع ماجاء في القرآن حقاً ؟ أم أن هنالك إختلافات؟ وما هي هذه الاختلافات وكيف السبيل إلى حلها؟ وما حكاية طلوع الشمس من مغربها على كوكب المريخ التي شاعت بين الناس وخاصة الدعاة والوعّاظ ؟ وهل ستطلع الشمس من مغربها حقاً يوم القيامة ؟ وهل سيستمر الكون في توسعه بتسارع كما يقول علماء الكون بحسب آخر أرصادهم أم إنه سينطوي كما يقول القرآن؟ وما حقيقة إكتشاف رواد الفضاء لإنشقاق القمر وهل لهذه سند علمي حقًا؟ وهل أن سرعة الضوء هي فعلًا سرعة الأمر الإلهي كما يقول البعض وهل هي مذكورة في القرآن؟ وهل يمكن استنباط عمر الكون من القرآن؟ وما حقيقة الخمسين ألف سنة؟ وما مدى توافق التفاسير القديمة التي لازلنا نتداولها مع العلم المعاصر؟ هل نعيش في هذا الكون داخل ثقب أسود؟ وهل الكون كله ثقب اسود عظيم؟[١].

الفرع الثالث: اثره في علم الاعجاز:

ساهم الطائي بجهد كبير في تبسيط الفيزياء وبالأخص العلوم الكونية وتقديمها لخدمة ثقافة الناس وتطوير وعيهم وأسلوب تفكيرهم وسنوياً يقوم بإلقاء العديد من المحاضرات العامة في المنتديات الثقافية ، ولاسيما أن علوم الفيزياء لها ارتباط وثيق بحاسة البصر، وكيفية قياس الزوايا التي يمكن للعين أن تراها ، وانعكاس الضوء للعين حتى يتمكن الإنسان من الرؤية .

وله مقالات علمية على الأنترنت يشرح فيها الكثير من مفاهيم نظرية الكم ونظرية النسبية الخاصة والفيزياء الحديثة والفلك ، وهي منشورة على مواقع متعددة على

([١])محمد باسل الطائي، صيرورة الكون: مدارج العلم ومعارج الإيمان، عالم الكتب الحديث، الأردن ٢٠١٠.

الشبكة ، وبعضها على صفحة الطائي على موقعه في الفيسبوك[١].

ومؤخراً ساهم بجهد كبير بإعطاء شروح مبسطة وأساسية ومفيدة في مقطع فيديو منوعة، وشرح فيها كثيراً من المفاهيم الفيزيائية والكونية بشكل خاص، وتولى رفع ذلك على قناته في اليوتيوب[٢].

وللدكتور الطائي اهتمام في البيان العلمي للقرآن، فقد أصدر كتابين؛ الأول: (خلق الكون بين العلم والإيمان) كما أسلفنا .

والثاني: (صيرورة الكون: مدارج العلم ومعارج الإيمان) لكن منهج الدكتور الطائي يختلف عن الأسلوب الذرائعي والوعظي السائد في وسط العاملين في هذا المجال، فهو يرى أن هنالك إشارات جديرة بالاهتمام تكشف عن دقة التعبير القرآني في ذكره للظواهر الطبيعية؛ لكن ليس بالضرورة أن يتفق القرآن مع المعروف من المعلوم الطبيعية دومًا؛ لأن هذه العلوم متغيرة والقرآن كلام الله الثابت، فالقرآن بالأساس كتاب هداية وشريعة وليس كتاباً في علم من العلوم المتخصصة[٣].

وللدكتور الطائي اهتمام واسع في أنشطة حوارات العلم والدين التي تقام عالمياً، فهو عضو في المنتدى البريطاني للعلم والدين ، ويحرص على اتباع المنهج العلمي في اتخاذ المواقف من ظواهر العالم ومن المجتمع ومشكلاته، وهو يحث دوماً على: ضرورة تجديد

---

(١)آمال ملكاوي، مدخل جديد لفلسفة العلوم الطبيعية من منظور إسلامي، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، الأردن ٢٠١٠، ص٣٠.

(٢) ينظر: موقع الويكيبيديا.

(٣)محمد باسل الطائي، صيرورة الكون: مدارج العلم ومعارج الإيمان، عالم الكتب الحديث، الأردن ٢٠١٠.

الفكر الإسلامي مبنياً على مصدره الأساسي وهو القرآن الذي نزل على الرسول محمد ﷺ ، مستعينين بمعارف العلم الموثقة ؛ لفهم الوحي ووضع تعاليمه موضع التطبيق[١].

وهو في ذلك لا يوافق الداعين إلى القطيعة التراثية، ولا يوافق المتأولين الذي يشتطون في تفسير الوحي، بل يرى أن في التراث مَعيناً مُعيناً مهمًا للتواصل مع رسالة السماء ، وضمن هذا الإطار تأتي دعوته لتجديد علم الكلام؛ لأنه يجد أن منهجية الكلام التي تتخذ من تعاليم الوحي أساسًا لفهم العالَم هي صائبةً، على حين أن رؤى الكلاميين القديمة وحججهم – وخاصة في الأمور الإلهية – في أغلبها قد صارت قديمة ، لا تصلح للتعامل معها اليوم.

وبالطبع لا يمكننا مسابقة الغرب في هذا العصر بالعلوم الطبيعية والتكنولوجيا فليس في جعبتنا مؤنة لذلك؛ لكن بإمكاننا أن نسهم في تطوير حياة الغرب والشرق من خلال تقويم رؤيتهم للقيم والعلاقة مع السماء، فإن الإسلام يمكِّننا من تقديم عطاءٍ حضاريٍّ هائلٍ في هذا الصدد ، وفي جعبتنا الكثير من ميراث الإسلام وهداياته وتعاليمه السامية ، لكننا أولاً يجب أن نصلح حالَنا وسلوكَنا وفكرنَا، ونتمسك بالقيم الإسلامية حقَّ التمسك شكلاً ومضموناً، وأن لا نكتفي بأداء العبادات فحسب ، فنتصور أن لزوم العبادة وحده يغني عن العمل!، فالإيمان في الإسلام مقترن بالعمل، فإن فسد العمل بطل الإيمان، وأصبحنا في صنف الفاسقين المتخلفين[٢].

([١])آمال ملكاوي، مدخل جديد لفلسفة العلوم الطبيعية من منظور إسلامي، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، الأردن ٢٠١٠، ص٦٦.

([٢])دقيق الكلام: الرؤية الإسلامية لفلسفة الطبيعة، عالم الكتب الحديث، الأردن ٢٠١٠.، ص٥٤.

الخاتمة واهم النتائج:

بعد استعراضنا لما مر سابقا في البحث توصلنا إلى نتائج أهمها:

١. إن معجزة القرآن الكريم تُظهر لأهل العلم في كل مجال من مجالاته، فهي ظاهرة في نظمه ، وفي لغته ، وفي بلاغته ، وفي عدده ، وفي أخباره عن الأولين ، وفي أنبائه بحوادث المستقبل .

٢. عظمة الخالق سبحانه وتعالى في الخلق إذ جعل كل شيء خاصه الخاصة به وليس هنالك تداخلا في عمل آلات الإنسان .

٣. البناء الدقيق لهذه الحواس والآلات في جسم الإنسان ، وروعة التعبير القرآني في وصف آلات الإنسان في غايه الدقة .

٤. يحوي العراق على علماء كثر في شتى المجالات ينبغي بحثهم ودراستهم والتعرف على آثارهم .